الباب الأول

السعادة

obeikandl.com

obeikandl.com

تعريف السعادة

هي شعور بالرضا والارتياح يصاحبه بهجة واستمتاع بالحياة ،وهناك من يربط السعادة بكثرة المال ومن يربطها بكثرة الأولاد وهى كلمة خفيفة على اللسان، حبيبة إلى قلب كل إنسان، وشعور داخلي يتمثل في سكينة النفس ، وطمأنينة القلب ، وانشراح الصدر ، وراحة الضمير، وما من إنسان إلا وهو يسعى إلى تحقيقها في حياته، فأكثر الناس يظن أن السعادة في المال والثراء ، ومنهم من يتصور أن السعادة في أن يكون له بيت فاخر وسيارة فارهة، ومنهم من يعتقد أنها في كثرة الأولاد والأحفاد ، أو أن تكون له وجاهة في المجتمع، أو يتبوأ أعلى المناصب ، ويظنها البعض الآخر في أن يتزوج امرأة ذات مال وجمال ودلال وللناس فيما يعشقون مذاهب،وهذه المتع متع دنيوية زائلة من عاش لأجلها والاكثار منها ولم يبتغ غيرها لم يذق طعم السعادة الحقيقية وليس له في الآخرة من حظ ولا نصيب ،فالسعادة ليست في مال يجمعه الإنسان وإلا لسعد قارون، وليست في طلب الوزارة والمنصب ولو كانت كذلك لسعد هامان وزير فرعون، وليست في متعة دنيوية ما تلبث أن تنقضي بل السعادة الحقيقية في طاعة الله، والبعد عن معصيته التي هي سبب في الفوز الأبدي (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)[1] 0

1- سورة آل عمران185

وذلك بأن يسير الإنسان في هذه الدار على الصراط المستقيم، وأن يتبع الرسول الكريم، وأن يتقي الله ويراقبه في السر والعلانية، والغيب والشهادة، فبذلك يفوز الإنسان ويسعد والقليل من الناس هم الذين عرفوا حقيقة السعادة فعملوا من أجلها وجعلوا مقامهم في الدنيا معبراً للآخرة ولم تلههم الدنيا وزينتها عن الآخرة ومن أراد أن يحقق السعادة في حياته فليلتزم بالأسباب التي من قام بها حصل على السعادة والحياة الطيبة في دنياه وأخراه وهناك جملة من الوسائل المفيدة في الحياة السعيدة من أهمها ما يلي:

1- الإيمان والعمل الصالح: قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[1] فالحياة الطيبة تكون لأهل الإيمان والعمل الصالح وأما غيرهم حتى وإن تمتعوا بالملذات المحسوسة فإنهم في ضيق ونكد؛ لأن مدار السعادة على القلب وراحته 0

2- الإحسان إلى الخلق بالقول والعمل وأنواع المعروف فإن الله يدفع به الهموم والغموم عن العبد، ويعاملك الله وفق معاملتك لعباده 0

4- اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وترك الخوف

1- سورة النحل: 97

من المستقبل أو الحزن على الماضي، فيصلح يومه ووقته الحاضر،ويجد ويجتهد في ذلك 0

5- الإكثار من ذكر الله، فإن ذلك من أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينة القلب، وزوال الهم والغم ،قال تعالى: {أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }[1]0

6- أن ينظر الإنسان إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو أعلى منه في الرزق والصحة وغيرها وقد ورد في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ)[2] فبهذه النظرة يرى أنه يفوق كثيراً من الخلق في العافية وتوابعها، وفي الرزق وتوابعه، فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره واغتباطه بنعم الله0

7- السعي في إزالة أسباب الهموم، وفي تحصيل أسباب السرور، بنسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردها، ومعرفة أن اشتغال الفكر فيها من باب العبث والمحال، فيجاهد قلبه عن التفكير فيها0

8- تقوية القلب وعدم التفاته للأوهام والخيالات التي تجلبها الأفكار السيئة؛ لأن الإنسان متى استسلم للخيالات وانفعل قلبه للمؤثرات من

1- سورة الرعد: 28 2- رواه مسلم

الخوف والأمراض وغيرها، أوقعه ذلك في الهموم والغموم والأمراض القلبية والبدنية والانهيار العصبي 0

9- الاعتماد والتوكل على الله والوثوق به والطمع في فضله، فإن ذلك يدفع الهموم والغموم، ويحدث للقلب من القوة والانشراح والسرور الكثير 0

10- إذا أصابه مكروه أو خاف منه فليقارن بينه وبين بقية النعم الحادثة له دينية أو دنيوية، فإنه سيظهر له كثرة ما هو فيه من النعم وتستريح نفسه وتطمئن لذلك 0

<u>من أسرار السعادة وفوائدها:</u>

الله تعالى أمرنا أن نعفو عمن أساء إلينا ، فما هو سر ذلك؟ ولماذا يأمرنا القرآن بالعفو دائماً ؟ اننا كمؤمنين لابد أن نعتقد أن كل ما أمرنا به القرآن الكريم فيه نفع وخير، وكل ما نهانا عنه فيه شر وضرر، فما هي فوائد العفو؟ وماذا وجد العلماء والمهتمين بسعادة الإنسان حديثاً من حقائق علمية حول ذلك؟

في كل يوم يتأكد العلماء من شيء جديد في رحلتهم لعلاج الأمراض المستعصية،وآخر هذه الاكتشافات ما وجده الباحثون من أسرار التسامح فقد أدرك علماء النفس حديثاً أهمية الرضا عن النفس وعن الحياة

وأهمية هذا الرضا في علاج الكثير من الاضطرابات النفسية، وفي دراسة نشرت فى مجلة دراسات السعادة اتضح أن هناك علاقة وثيقة بين المغفرة والعفو من جهة، وبين السعادة والرضا من جهة ثانية.

فقد جاؤوا بعدد من الأشخاص وقاموا بدراستهم دراسة دقيقة وكانت المفاجأة أن الأشخاص الأكثر سعادة هم الأكثر تسامحاً مع غيرهم فقرروا بعد ذلك إجراء تجارب لاكتشاف العلاقة بين التسامح وبين أهم أمراض العصر مرض القلب، وكانت المفاجأة أن الأشخاص الذين تعودوا على العفو والتسامح والصفح عمن أساء إليهم هم أقل الأشخاص انفعالاً وتبين نتيجة هذه الدراسات أنهم لا يعانون من ضغط الدم، وعمل القلب لديهم منتظم أكثر من غيرهم، ولديهم قدرة على الإبداع أكثر ويقول العلماء: إنك لئن تنسى موقفاً مزعجاً أوفر بكثير من أن تضيع الوقت وتصرف طاقة كبيرة من دماغك للتفكير فى الانتقام وبالتالي فإن العفو يوفر على الإنسان الكثير من المتاعب0

فوائد السعادة:

1- السعادة تمنح الإنسان راحة نفسية وقبولاً ذاتياً0
2- السعادة تدخل على الأسرة السرور والروح والهدوء 0
3-السعادة تربي الأولاد على طبيعة الحياة الإيجابية0

4-السعادة تساعد الإنسان على الاهتمام بالأهداف السامية بدلاً من الانشغال بالنفس والجسد0

5-السعادة تمنح الجسد انسجام رائع ، مما يجعل أجهزة الجسد المتنوعة تعمل بكفاءة0

6-السعادة تعطي الشخص الفرصة لأن يكون مبدعاً ومخترعاً0

7- السعادة تضعفي على المجتمع الفرحة فينسجم وينتج0

<u>متى نشعر بالسعادة ؟</u>

كثير من الناس ينتظر أن يحدث له شيء بعينه حتى يشعر بالسعادة، كما يظن بعض الناس أن الشعور بالسعادة هو نتيجة النجاح، ولكن العكس هو الصحيح حيث أن النجاح هو نتيجة الشعور بالسعادة، والدليل على صحة ذلك من خلال استعراض أمثلة من حياة المشاهير، فقد امتلكوا كل ماتمنوا وحققوا النجاح والشهرة ومع ذلك لم يكونوا سعداء في حياتهم، بل إن منهم من أنهى حياته بالانتحار فلا يوجد إنسان تعيس ولكن توجد أفكار تسبب الشعور بالتعاسة، وإذا لم يكن الإنسان سعيداً بحياته فإنه لن يكون سعيداً بأي حياة، ولا يوجد طريق إلى السعادة، فالسعادة الحقيقية تكمن في الرضا وحب الله تعالى وهى في متناول أيدينا لكننا لانشعر بها لأننا ننظر إلى ما لدى الآخرين ونتمنى الحصول عليه، ولانرضى بما بين أيدينا، فإذا أردنا السعادة فلتكن قلوبنا نقية

كأفندة الطير لا تحمل حقد ولا ضغينة لأحد، ولنجعل الصفح والتسامح مبدئنا في الحياة، ولننظر إلى عيوب أنفسنا ونصلحها، ونجعل أهدافنا راقية وعالية وننشغل بمحاولة تحقيقها0

الإحسان والسعادة

نص عظيم في كتاب الله تبارك وتعالى يؤكد على أهمية الإنفاق والتصدق بشيء من المال على الفقراء والمحتاجين، يؤكد على أن الذي ينفق أمواله في سبيل الله لا يخاف ولا يحزن، أي تتحقق له السعادة يقول تبارك وتعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[1] وهكذا آيات كثيرة تربط بين الصدقة وبين سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، والبحث الذي صدر حديثاً ونشرته مجلة العلوم يؤكد على هذه الحقيقة القرآنية فقد جاء في هذا الخبر العلمي على موقع بي بي سي أن الباحثين وجدوا علاقة بين الإنفاق وبين السعادة يقول باحثون كنديون إن ما يعزز

1-البقرة: 261-262

الشعور بالسعادة ليس جني مبالغ طائلة من الأموال ، بل هو إنفاق المال على الآخرين ويقول فريق الباحثين في جامعة بريتيش كولومبيا إن إنفاق أي مبلغ على الآخرين ولو كان خمسة دولارات فقط يبعث السعادة في النفس إنهم يؤكدون أن الإنفاق ضروري ولو كان بمبلغ زهيد، أليس هذا ما أكده النبى ﷺ عندما قال: (اتقوا النار ولو بشق تمرة) أي بنصف تمرة أليس هذا ما أكده القرآن أيضاً بقوله تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)[1] وتقول البروفيسورة إليزابيث دان أردنا أن نختبر نظريتنا بأن كيفية إنفاق الناس لأموالهم على نفس القدر من الأهمية ككيفية كسبهم لهذه الأموال وتضيف بغض النظر عن حجم الدخل الذي يحصل عليه الفرد فإن أولئك الذين أنفقوا أموالاً على آخرين كانوا أكثر سعادة من أولئك الذين أنفقوا أكثر على أنفسهم.

السعادة فى الاسلام

إن السعادة في الإسلام ليست قاصرة على الجانب المادي فقط ، وإن كانت الأسباب المادية من عناصر السعادة لأن الجانب المادي وسيلة وليس غاية لذا كان التركيز في تحصيل السعادة على الجانب المعنوي

1- الطلاق: 7.

كأثر مترتب على السلوك القويم وقد تناولت النصوص الشرعية ما يفيد ذلك ومنها :

أ- قال تعالى: (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) 0

ب- وقال تعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) 0

ج- وقال ﷺ: (من سعادة ابن آدم : المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح)0

الحالة التي تعيشها الدنيا في الوقت الحاضر هي حالة مرضية - بكل خصائص المرض - وما لم ترفع هذه الحالة الى حالة صحية فستظل الدنيا تتخبط في دياجير وظلمات ومشاكل أسوء من المشاكل التي كانت الدنيا تتخبط فيها قبل ظهور الإسلام فهي جاهلية ثانية أسوء من الجاهلية الأولى إن الدنيا الحاضرة دنيا مغلفة بالأنانية ، والأثرة ، والتفاوت الطبقي ، والموازين التي تحكمها هي موازين القومية والوطنية والمادة واللغة وما أشبه لا الموازين الإنسانية ، لذا تجد كل إنسان لا يرتبط بالوطن الخاص والشعب الخاص ونحو هذين الأمرين غريباً ليس له أي حق في الحياة ، فهو يولد في العالم الحاضر دون أي حق ، وينظر إليه بالشبهة والريبة ، لا يزوج ، ولا يتزوج منه ، ويطرد من البلاد ، ولا حق له في البيع والشراء إلى غير ذلك ، إلاَ في نطاق

خاص وتحت شروط قاسية جداً ليس لها مثيل حتى في الجاهلية الأولى وما دامت الدنيا لا تضع الحب مكان الكراهية ، والأخوة مكان الطبقية والوطنية والقومية ونحو ذلك ، وحسن الظن ، بدل سوء الظن ، وحب الإنسان بما هو إنسان بدل الروابط الأنانية والأرضية ونحوها ، والتعاون بدل التقاطع ، والدقة في عمل الإنسان وفي قوله بدل الفساد ، والبراءة حتى تثبت الجريمة بدل الشبهة ، والحرية في كل شيء بدل الكبت لم يكن للعالم خلاص من المشاكل ، بل إنها تزداد ضيقاً يوماً بعد يوم ، حاله حال المريض فإنه إذا لم يستعمل الدواء يزداد مرضه يوماً بعد يوم حتى ينتهي به إلى الموت إن الإسلام عالج الجذور أولاً وبالذات ، وبنى الأسس الكفيلة لسعادة الإنسان وعمارة الأرض0

السعادة بين الوهم والحقيقة

هناك سعادة وهمية،وسعادة حقيقية ولكن ما الداعي لتقليب صفحات هذا الموضوع، والخوض فيه؟ وأسباب طرح هذا الموضوع أمور كثيرة، منها:

1- لأن كل إنسان على وجه البسيطة يسعى إلى السعادة وقد يختلف الناس في مذاهبهم، يختلفون في أعراقهم، وفي مشاربهم، بل وفي مبادئهم، وغاياتهم، ومقاصدهم، إلا غاية واحدة ربما اتفقوا عليها، من أولهم إلى آخرهم، إنها: طلب السعادة 0

المؤمن والكافر، البر والفاجر، كل واحد منهم يريد السعادة لو سألته: لم تعمل هذا؟ ولأي شيء تفعل ذاك؟ لقال: أريد السعادة سواء أقالها بحروفها أم بمعناها، بمدلولها أم بحقيقتها 0

2- كثير من الناس يخطئ طريق السعادة، كل الناس يريدونها، لكن كثيرا منهم يخطئها،والقلة القليلة هي التي تسلك سبيل السعادة الحقيقية0

3- وهو سبب جوهري أرجو أن ينال عنايتكم وانتباهكم وهو أن كثيرا من المسلمين وأخص الدعاة منهم عندما يرون أصحاب السعادات الوهمية، يكون هذا الأمر عائقا لهم عن الطريق إلى الله سبحانه وتعالى فالداعية إلى الله سبحانه وتعالى، يصاب في طريقه بعقبات وهذا شأن طريق الدعوة وهو بحاجة إلى من يثبته على طريقه ولكنه يرى كثيرا ممن يتصور أنهم أصحاب سعادات، يراهم يعيشون في قمة السعادة وهنا يحدث له الضعف والوهن في طريقه إلى الله سبحانه وتعالى، فيقول أو يقول له الشيطان-: ألا تكون مثل هؤلاء، ألا تعيش السعادة الحقيقية مثل هؤلاء، فيضعف عن الطريق، وكم من مستقيم ضل وانحرف قبل وفاته وكم من رجل كان يعيش السعادة الحقيقية، ثم انتقل منها إلى السعادة الوهمية فلم يحقق السعادة في الدنيا، ولن يحققها في الآخرة 0

وقبل أى كلام يجب الاشارة إلى ثلاثة أركان رئيسة تحقق معنى السعادة الحقيقية وهي: خيرية الذات - خيرية الحياة وهذا المهم - خيرية المصير

أوهام السعادة

السعادة في المال:

هذه القضية، قضية حاسمة، ومهمة في تحديد مسيرة حياتنا، بل وتحديد مفاهيمنا الخاطئة، عن السعادة والتي منها كثرة التساؤل عن السعادة، هل هى في تكديس المال ؟ وفي جمع الثروات، وبناء العقارات والقصور؟ هل هذه هي السعادة؟ كثير من الناس يتوهم ذلك، فهذا سعيد لأنه يملك أرصدة في البنوك وفلان سعيد لأنه يملك كذا من الأراضي، وكذا من العمارات فلان سعيد لأنه يملك كذا وكذا 0

كثير من الناس يطلق هذا الوهم بلسانه، وكثير منهم يعتقده بقلبه، فيتصرف من هذا المنطلق الخاطئ لكن ليست السعادة في جمع المال، فكثير من أرباب المال وأصحاب الثروات يعيشون في شقاء وتعاسة دائمة في حياتهم الدنيا قبل الآخرة لماذا؟ لأنهم يتعبون في جمع المال وحفظه واستثماره والقلق والخوف من فوات هذا المال وزواله فكم من إنسان يملك مليارات ولكنه خائف قلق لماذا كل هذا الخوف؟ ولم كل هذا القلق؟ إنه يخاف على هذا المال، يخاف أن تأتي هزة سياسية، أو يأتي

لصوص فيسرقون هذا المال إذن، هو يعيش في شقاء، خوف، قلق، هم، غم، بل قد لا ينام الليل، وهذا أمر مجرب، مشاهد، ترونه بأعينكم، بل قد يكون المال سبب هلاكه ومماته فكم من غني خطف أو قتل بسبب تجارته وكم من غني حرم من لذاته بسبب أمواله، تجده لا يمشي طليقاً، حراً، لا يسافر كما يريد، لا ينام كما يريد، كل هذا بسبب أمواله ثم كم من إنسان صاحب مال زال ماله، وثرواته بسبب أو بآخر فعاش بقية حياته في تعاسة وشقاء

وإليكم هذه النماذج :

قارون: تلك القصة التي أوردها القرآن الكريم عن قارون، حيث قال - سبحانه وتعالى-: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ في قمة سعادته، حتى إن قائلهم يقول: إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وهذا من أوهام السعادة، والنتيجة لكفره بنعم الله كما يقول الله - سبحانه وتعالى-: فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ أي سعادة هذه وأي نهاية؟ فبئس المال الذي لا يغني عن صاحبه شيئاً 0

كرستينا أوناسيس:

قصة عجيبة، تؤكد أن المال مهما زاد وكثر، لا يمكن أن يكون وحده سببا للسعادة قصة عجيبة إنها فتاة يونانية، ابنة المليونير المشهور أوناسيس ذلك الذي يملك ما الله أعلم به هذه الفتاة مات أبوها، وقبل ذلك

ماتت أمها، وبينهما مات أخوها، وبقيت هي الوريثة الوحيدة مع زوجة أبيها لثروات طائلة تزيد عن 5 مليارات دولار

كم من إنسان يتمنى أن يكون مثل هذه المرأة هل تعلم أنه لو وزعت ثرواتها على مئة فرد، لأصبحوا من كبار الأثرياء، والسؤال هو: هل هذه المرأة سعيدة؟

إليكم فصول قصتها العجيبة، وسيتبين لكم من خلالها الجواب:

أما أمها: فقد ماتت بعد حياة مأساوية، كان آخر فصولها الطلاق

وأما أخوها: فقد هلك بعدما سقطت به طائرته، التي كان يلعب بها

وأما أبوها: فقد اختلف مع زوجته جاكلين كيندي زوجة الرئيس الأمريكي السابق كندي، تلك الزوجة التي تزوجها بملايين الدولارات، يبحث عن الشهرة فقط، ليقال: إنه تزوج بزوجة الرئيس الأمريكي جون كندي ومع ذلك فقد عاش معها في شقاء دائم تصور أن من بنود عقد الزواج: ألا تنام معه في فراش، وألا يسيطر عليها، وأن ينفق عليها الملايين - حسب رغبتها - ومع ذلك فقد اختلفت معه، وعندما مات، اختلفت مع ابنته وخلاصة القول: أن هذه الفتاة كانت قد تزوجت في حياة أبيها برجل أمريكي، وعاش معها شهورا، ثم طلقها وبعد وفاة أبيها تزوجت برجل آخر يوناني، وعاش معها شهورا ثم طلقها ثم انتظرت طويلا تبحث عن السعادة أتعلمون من تزوجت؟ للمرة الثالثة، أغنى أمرأة في العالم على الإطلاق، أتعلمون من تزوجت؟ لقد تزوجت شيوعياً

روسياً، يا للعجب قمة الرأسمالية تلتقي مع قمة الشيوعية وعندما سألها الناس،:أنت تمثلين الرأسمالية فكيف تتزوجين بشيوعي؟عندها قالت: أبحث عن السعادة نعم، لقد قالت: أبحث عن السعادة 0

وبعد الزواج ذهبت معه إلى روسيا، وبما أن النظام هناك لا يسمح بامتلاك أكثر من غرفتين، ولا يسمح بخادمه، فقد جلست تخدم في غرفتيها فجاءها الصحفيون وهم يتابعونها في كل مكان فسألوها: كيف يكون هذا؟ قالت: أبحث عن السعادة وعاشت معه سنة، ثم طلقها ثم بعد ذلك أقيمت حفلة في فرنسا، وسألها الصحفيون: هل أنت أغنى امرأة؟ قالت: نعم أنا أغنى امرأة ولكني أشقى امرأة وآخر فصل من فصول المسرحية الحقيقية، تزوجت برجل فرنسي لاحظوا أنها تزوجت من أربع دول وليس من دولة واحدة تجرب حظها وبعد فترة يسيرة أنجبت بنتا، ثم طلقها ثم عاشت بقية حياتها في تعاسة، وهم، ثم وجدوها ميتة في شالية في الأرجنتين، لا يعلمون هل ماتت ميتة طبيعية، أم قتلت، حتى إن الطبيب الأرجنتيني أمر بتشريح جثتها، ثم دفنت في جزيرة أبيها انظر إلى هذه المرأة هل أغنى عنها مالها؟ أما في الدنيا: فلا، وأما في الآخرة، فستقول لأنها كافرة ما أغنى عني ماليه إذن، المال وحده لا يكفي،المال وحده لا يجلب السعادة، ولا يوفرها، فمن أكبر أوهام السعادة قضية الثراء والتجارة وفي عصرنا الحاضر، تلاحظون وتشاهدون كثيراً من

التجار يعيشون في قلق دائم، تشاهدون من ذهبت منه تجارته يعيش في هم وغم 0

هل السعادة في الشهرة؟:

لا؛ لأن الشهرة شقاء لا سعادة، ولأن الشهرة لا حقيقة لها إن لم ترتبط بتقوى الله -سبحانه وتعالى والذي يتقي الله -سبحانه وتعالى- لا يريد الشهرة؛ لأن الشهرة إذا ارتبطت بغير سبب أصيل فإنها تزول سريعا، وإذا زالت عن صاحبها عاش في شقاء، وتعاسة فقد يتوهم كثير من الناس أن السعادة موجودة عند صنفين من الناس هم أهل الرياضة وأهل الفن فنقول أهل الرياضة معظمهم يعيش شقياً في أيامه ولياليه فمن معسكر إلى معسكر ومن سفر إلى سفر فلا يكاد يستقر مع أهله إلا قليلاً ويضطر أغلبهم إلى التفريط فى مستقبله الدراسي وعدم مواصلته بسبب الانشغال الكامل بالرياضة أضف إلى ذلك اضطرابهم عند كل مباراة وكآبتهم عند كل هزيمة ثم إن الإصابات تتقاذفهم من كل جانب كما أن الخوف من رأي الجماهير ونظرتها عند أي هبوط في المستوى يجعلهم يعيشون شقاءاً متواصلاً ثم ماذا بعد ذلك؟ إن الناس سرعان ما ينسونهم بعد الاعتزال فيزدادون ألماً وحزناً إذن فليست السعادة عند أهل الرياضة وإن ظن الكثيرون أنها عندهم وأهل الفن حياتهم أسوأ حياة يعيشها البشر فشل أسري، مخدرات، انحلال، انعدام حياء، موت فضيلة ونقصد بأهل الفن أهل الغناء والطرب، والتمثيل ولا نقول هذا من عندنا،

بل هو من مذكراتهم التي تعج بها الصحف صباح مساء وهذه ثلاث وقائع:

الواقعة الأولى: أنور وجدي زوج الممثلة اليهودية ليلى مراد، هذه الزوجة التي قالت عنه في مذكراتها: إن زوجي كان ممثلاً بسيطاً، فقال: أتمنى أن أملك مليون جنيه حتى ولو أصبت بمرض، فقلت له: ما ينفعك المال إذا جاءك المرض؟ فقال: أنفق جزءاً من المال في علاج المرض، وأعيش ببقيته سعيداً، فملك أكثر من مليون جنيه، وابتلاه الله بسرطان الكبد، فأنفق المليون جنيه وزيادة، ولم يجد السعادة حتى إنه كان لا يأكل إلا شيئا يسيراً من الطعام، فهو ممنوع من أكل كثير من الأطعمة، وأخيراً، مات بهذا المرض حسيراً نادماً0

الواقعة الثانية: نيازي مصطفى وهو من كبار المخرجين، لكنه عاش حياته في شقاء وتعاسة، وعندما بلغ السبعين من عمره، وجدوه قتيلاً في منـزله، ووجدوا أنه في تلك الليلة التي مات فيها، كان أقام حفلة صاخبة، شاركه فيها أكثر من عشر فتيات، وفي الصباح وجدوه أثراً بعد عين فقد وجد قتيلاً0

انظر إلى هذه الحياة، ذعر، وسكر، وخيانة، مات على هذه الحالة المأساوية، نعوذ بالله من سوء الخاتمة 0

الواقعة الثالثة: عبد الحليم حافظ الرجل الذي عاش حياته مريضاً، وحيداً، من غير زوجة، ولا ولد، إلى أن أنهكه المرض واختطفه الموت،

بعد الخمسن بقليل في قمة الشقاء فالسعادة إذن ليست إلا بريقاً زائفاً تشع به أعينهم لتوهم الآخرين بذلك مع أنهم يعيشون في الواقع قمة الشقاء والتعاسة إذن، أين السعادة ؟

السعادة في الشهادات :ربما كانت في نيل أعلى الشهادات، في أن يصبح الإنسان دكتوراً لكن لا ولنقف قليلا مع ما يبرهن على هذا بجلاء ووضوح إليكم هذه القصة الحديثة، التي نشرتها مجلة اليمامة

طبيبة تصرخ، تقول: خذوا شهاداتي وأعطوني زوجاً انظروا كيف تقول هذه الطبيبة، تصوروا، دكتوراة في الطب، وربما كانت في نظر كثير من الناس سعيدة جداً، فما دامت امرأة واستطاعت أن تكون دكتورة، بل وفي الطب أيضاً لأن الطب - في نظر كثير من الناس - أعلى العلوم، وشهاداته أفضل الشهادات، وهذه نظرة خاطئة، إنما هذه نظرة الكثير من الناس، أن الإنسان إذا كان دكتورا، وفي الطب، فإنه يعيش في قمة السعادة 0

إقرأوا ما تقوله هذه المرأة، حسب ما سطرت بقلمها، حيث جاء من ضمن كلامها: السابعة من صباح كل يوم، وقت يستفزني، يستمطر أدمعي، لماذا؟ أركب خلف السائق متوجهة صوب عيادتي بل مدفني، بل زنـزانتي، تعبر عن عيادتهـا التي طالما كافحت حتى تصل إليها، تعبر عنها بالمدفن وبالزنـزانة، ثم تقول: وعندما أصل مثواي بدل أن تقول: أصل إلى مكتبي، ومقر سعادتي، تقول: أصل مثواي ويتواصل الحديث

أجد النساء بأطفالهن ينتظرنني، وينظرن إلى معطفي الأبيض، وكأنه بردة حرير فارسية، هذا في نظر الناس، وهو في نظري لباس حداد لي ثم أدخل عيادتي، أتقلد سماعتي وكأنها حبل مشنقة يلتف حول عنقي، العقد الثالث يستعد الآن لإكمال التفافه حول عنقي أي: بلغت الثلاثين، والتشاؤم ينتابني على المستقبل وأخيرا تصرخ وتقول خذوا شهاداتي ومعاطفي، وكل مراجعي، وجالب السعادة الزائفة وتعني المال وأسمعوني كلمة ماما 0

السعادة في المنصب: إذن، لعل أصحاب السعادة هم أصحاب المناصب العالية المرموقة من قادة ووزراء وغيرهم؟ لكن : لا أتدرون لماذا؟ لأن المسئولية هم في الدنيا، وإن لم يقم صاحبها بحقها فهي حسرة وندامة يوم القيامة صاحب المنصب والسلطان لا يفارقه الهم خوفاً من زواله، تجده يشقى للمحافظة عليه، وإذا زال منصبه ولابد زائل عاش بقية عمره تعيساً والمنصب قد يكون سبباً في هلاك صاحبه، لذلك يعيش في خوف وقلق دائمين وكفانا على ذلك قصة: فرعون وهامان صاحبا المناصب العالية المرموقة اللذان خلد القرآن قصتيهما0

أما في العصر الحاضر، فأسرد لكم أمثلة سريعة

شاه إيران: الرجل الذي أقام حفلا ليعيد فيه ذكرى مرور ألفين وخمسمائة سنة على قيام الدولة الفارسية، وأراد أن يبسط نفوذه على الخليج، ثم على العالم العربي بعد ذلك، ليلتقي مع اليهود ذلك الرجل الذي

كان يتغنى ويتقلب كالطاووس، كيف كانت نهايته لقد تشرد وطرد لم يجد بلدا يأويه، حتى أمريكا التي كان أذل عميل لها وظل على هذه الحال حتى مات شريداً طريداً في مصر، بعد أن أنهكه الهم، وفتك به السرطان أما أولاده وأهله وحاشيته فقد أصبحوا أشتاتا متفرقين في عدة قارات0

رئيس الفلبين: هذا الرجل الطاغية ماذا حدث له؟ هذا الزعيم أذاقه الله غصص التعاسة والشقاء في الدنيا قبل الآخرة فإذا به بين عشية وضحاها يتحول إلى شريد طريد يتنكر له أسياده وأصدقاؤه لا يملك الرجوع إلى بلد كان يرتع فيه كما يشاء حتى إذا جاءت وفاته لم يستطع أن يحصل على أشبار قليلة في بلده يواري فيها سوءته فسبحان مالك الملك 0

بوكاسا: وما أدراك ما بوكاسا الذي توج نفسه إمبراطوراً، وما زلنا نذكر صورته وأفعاله في أفريقيا الوسطى وعندما زار فرنسا، قام عليه انقلاب، فتشرد في فرنسا، حتى ضاقت به الأرض، فجاء إلى بلده باسم مستعار، فقبضوا عليه، وحوكم في بلده والمعلوم أنه أصيب بعدة أمراض، أهونها التعاسة والهم والغم، في البلد الذي نصب نفسه إمبراطوراً له هذه بعض الأمثلة السريعة وما أكثر أمثال هؤلاء من السابقين واللاحقين، تجري فيهم سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير إذن هذه هي السعادة الوهمية التي يتصور الناس أنها حقيقية فكثير من

الناس يبدو لأول وهلة أنهم سعداء، وهم في الواقع يتجرعون غصص الشقاء والبؤس والحسرة 0

العوامل المؤثرة في التفاؤل والتشاؤم

موضوع التفاؤل والتشاؤم له علاقة بطبيعة كل مجتمع وبطبيعة عاداته وتقاليده وان التفاؤل له علاقة بظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع هناك مجموعة من العوامل البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لها أثر كبير في التفاؤل والتشاؤم كما يأتي

أولا : العوامل البيولوجية :تعتبر المحددات الوراثية ذات أثر كبير في نشأة وتكوين حالة التفاؤل أو التشاؤم ، ولقد عزز علماء الانثروبولوجيا الرأي المؤيد لأثر الوراثة في التفاؤل والتشاؤم المتمثل في غزارة الرضاعة وما يليها من فطام متأخر أو في شح الرضاعة وما يليها من فطام مبكر ، وكثيراً ما ينشأ التفاؤل عن نشاط الشخص وقوته العقلية والعصبية ، فقد تعود أن يزود نفسه بالأفكار الصحيحة السارة ، وينشأ التشاؤم من ضعف النشاط وضعف القوة العصبية ووهن الرقابة العقلية في الإنسان فيسمح لنفسه أن يسبح في جو مظلم من الأوهام إذ إن ضبط النفس والنظر إلى الناحية السارة دائماً يزيل التشاؤم والهموم والأحزان التي تسيطر على نفوسهم والمتفائل لدى استبشاره بالنجاح مسبقاً كأنه

حصل على قدرة معينة لإحالة المستقبل إلى حاضر يرضى به ، فأنه يوافق على مطالبة المخ له بإصدار الأوامر وإعداد الطاقة اللازمة بدءاً من إنجاز الأعمال إلى ما يصدر عنه من أحكام ، أما إذا تشاءم الفرد منذ البداية فإن فكرة التشاؤم نفسها تسيطر على جزء من تفكيره وتستحوذ على قدر من طاقته المخصصة للانجاز اللازم ، فتقل تدريجياً ويصيبه الفتور والفشل في انجاز مهامه وهذا ما يؤكده من يتشاءم وصدق تشاؤمه وقد كشف فريق علمي من جامعة ستانفورد الأمريكية ، ان هناك بعض التغيرات المختلفة في طريقة عمل الدماغ يمكن أن تعطي مؤشرات تسمح بالتفريق والفصل بين الشخصية المتفائلة وتلك المتشائمة ، وغطى البحث مجموعة من النساء المختلفات كانت أعمارهن بين تسعة عشر واثنين وأربعين عاما ، وقسمت النساء إلى قسمين من خلال استجوابهن عن مجموعة من الأسئلة ، القسم الأول النساء المتفائلات والثاني المتشائمات والعصابيات القلقات ، وعرض العلماء على القسمين صورا لمشاهد مفرحة ، مثل حفلات ، أعياد ميلاد ، وصور أخرى كئيبة حزينة مثل أجنحة مستشفيات ، وفيما كانت عملية عرض الصور مستمرة ، قام العلماء بقياس نشاط النساء في عدة أماكن من الدماغ ، ولاحظ الفريق العلمي إن المرأة المتفائلة استجابت بشكل أقوى للصور السعيدة مقارنة بالنساء القلقات المتشائمات والعكس كان صحيحا أيضا

إذ وجد نشاط غير عادي في أدمغة النساء القلقات العصابيات عندما عرضت عليهن صور كئيبة ومحزنة.

ثانيا : العوامل الاجتماعية :وتتمثل فى التنشئة الاجتماعية من لغة وعادات وقيم واتجاهات سائدة في المجتمع ، ولها دور في نشأة المفهوم ، فالمواقف الاجتماعية المفاجئة تجعل الفرد يميل في الغالب إلى التشاؤم والعكس صحيح إلى حد بعيد.

أن أساليب التربية الخاطئة ، كاللجوء إلى العقاب من أجل إسكات الرغبات التي تريد الاستمتاع بمباهج الحياة وإحباط سعي المراهق الذي يحاول الاستقلال عن أسرته ، ومعاملة الراشدين وضعف الإمكانيات المادية مما يؤدي إلى سوء استغلال أوقات فراغهم والإضرار بهم وبمجتمعهم .

ولعامل البيئة والثقافة دوراً كبيراً في تحديد التفاؤل والتشاؤم بين الجنسين ، فللذكور مجال أكبر في التعبير عن أرائهم واتجاهاتهم وهذا مما لاشك فيه يخلق لديهم نوعا من الأمل والتفاؤل نحو المستقبل لاسيما الشباب العربي من الذكور يتمتعون بفرص ، وخيارات أكثر من تلك التي تتمتع بها الإناث ، لأنهم يمتلكون القرار في تحديد مصيرهم سواء من ناحية استمرار التعليم واختيار المهنة المناسبة او حتى اختيار الزوجة ،

أما الإناث فما زالت التقاليد الاجتماعية تحد من ذلك عندهن لكن لا يعني انخفاض التفاؤل بدرجة كبيرة لديهن ، لكن التفوق يظهر لدى الذكور .

ثالثا : العوامل الاقتصادية والسياسية :يشير روشيل الى ان التراجع الاقتصادي المستمر الذي يقلل من إمكانات الاستخدام أو العمل في معظم الدول الغربية منذ أواخر السبعينيات من القرن العشرين قد أثر بلا شك على أهداف الحياة ، التي يضعها صغار الشباب لحياتهم ، ونظرا للشك في المستقبل فمن المتوقع بوجه عام ان يطور صغار الشباب اتجاهاتهم متأثرة بهذه الظروف فيصبحون مترددين جدا بشان وضع خطط لحياتهم ، لاسيما في مجال العمل مما يؤثر بلا ريب على معدلات التشاؤم والتفاؤل لديهم .

كما أن التطاحن والحروب النفسية والعسكرية وما تخلفه من عوامل الصراع والاضطراب النفسي وهيمنة دول على غيرها وأنواع الاستعمار المباشر وغير المباشر كل ذلك يؤدي إلى فقدان التوازن النفسي فيشعر الفرد انه عاجز ضعيف مهدد لا يجد من يحميه فيقع فريسة الهم والقلق النفسي مما يؤدي إلى صراعات نفسية لا تلبث إن تصبح مظاهر سلوكية لدى الفرد كالخوف من المستقبل والتشاؤم والشعور بالنقص والتردد والشك .